البديعيات النشأة والمضمون - ابن الخلوف أنموذجا

أ. نورة بن سعد الله، جامعة باتنة

ملخص :

تحاول الدراسة التعريف بفن من الفنون، لم ينل حظه من البحث، إنها البديعيات، التي تكشف عن تراث عريق وحقبة تاريخية مهمة، لذا كانت بديعية " ابن الخلوف " أنموذجا يجسد النبوغ المغربي – الجزائري، حيث اتسمت بطول النفس، وبمعجم شعري خاص، تراوح بين البلاغي، الاسلامي، والوجداني، مع عاطفة متأججة لا تخبو، وفي ظل ألوان بديعية متناسقة مع المعاني والغرض، سواء أكانت نسيبا أو مدحا أو دعاء.

Summary:

The study tries to define an art which was not given full importance in research, it is called "Al-Badieiat ". Al-Badieiat unveils an ancient heritage and a crucial historical period. There fore "Badieiat" "ibn el khalouf "appeared to be a pattern that shows the Meghribin-Algerian genius since it was characterized by an unlimited length and by a special poetic dictionary. It varied between eloquence, Islam, and emotions (conscience) with high endless emotions. As it was under adequate creative colors (types) that go with meaning and purpose either, it was love (nassib), praise or praying.

الكلمات المفتاحية :البديعية : Albadieia الألوان البديعية : Colores of Albadieia المدح : Praise الدعاء : Pray for التأليف البلاغي : Authoring Rhetorical

مقدمة :

أنجبت بلاد المغرب في القديم عددا من الشعراء والأدباء، نظموا في جل الأغراض التي نظم فيها شعراء المشرق والأندلس، وقد خلفوا إنتاجا غزيرا، ضاع كثير منه غير أن ما بقي منه لم يلق حظه من الدراسة والتحليل والعناية، رغم ما فيه من درر وكوامن من تراث عربي يستحق اهتماما أكثر ودراسة أعمق، لتغيير المفاهيم وتصحيح الاعتقادات الخاطئة حوله، والنظرة القاصرة إليه على أنه نسخة مكررة من نظيره المشرقي، فأدبنا يحتاج مزيدا من الاهتمام والدراسة والبحث، خاصة إذا تعلق الأمر بالمستجد أو ما فيه خروج عن المألوف، حيث إن البديعيات تعد تميزا وتفردا في مجال الشعر إذ هي تجديد وخروج في القصيدة، لكن في بنية مضامينها ونظامها البلاغي لا في نظامها الايقاعي الموسيقي، وعلى هذا الأساس فهي تقف مقابلا للموشحات التي كانت خروجا في الشكل.

إنها تضفي إشراقا وروعة على الشعر المغربي وتضيف حلقة من الحلقات إلى رصيد المغرب الشعري، لما تحمله بين طياتها من زخم معرفي، ناهيك على أنها نظم لأصعب العلوم على الاطلاق – علوم البلاغة – فهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالصناعة البلاغية التي تعد من التراث، إذ تثير الفكر والعقل، كما أنها ترقى بصناعتها إلى فنية فذة تتجلى أكثر من خلال الأسلوب وجماليته، لتميز مضمونها وشكلها، مما يجعلنا نتساءل عن ماهيته، فما المقصود بالبديعيات؟ هل تم تحديد مفهومها على اعتبار أن زمن ظهورها مرتبط بعصر زاخر بالأحداث السياسية والاقتصادية – العصر المملوكي؟ وما الجذور التي أخرجت هذا الفن؟ وما الدلالات الت يحملها هذا الشكل البديعي؟

وهل استطاع الشاعر – محل الدراسة – تحقيق المواءمة بين الألوان البديعية والمضامين؟ أين تكمن خصوصية البديعية؟.

1- ماهية البديعية:

تتميز لغتنا العربية عن باقي اللغات باتساع دلالاتها وعمق معانيها وجمال أساليبها، فلا غرو أن نكشف الجديد وتظهر فنون تثير جدلا ونقاشا، من ثم اختلافا حول ماهيته، وتكون محط أنظار الجميع.

هي البديعيات التي أسالت مداد الباحثين والشعراء، والكتاب والنقاد، ووقفوا مندهشين أمام فتنتها وسحرها، حيث إنها من المصطلحات التي تضاربت الآراء والمفاهيم بشأنها، إذ تباينت بحسب الثقافة والرؤى، لذا سنحاول تحديد ماهيتها من خلال آراء بعض الكتاب والنقاد.

والبداية تكون مع " محمود رزق سليم "، الذي جسد لنا صورة شائقة عن عصور الانحدار (المملوكي، الأيوبي، العثماني) في شتى الجوانب، وتحدث في شأن البديعيات، فبالنسبة له "" فن البديعيات صناعة فكرية أكثر منها صناعة أدبية، وهي ضرب من ضروب شعر حقائق العلوم والفنون، ذلك لأنه في جملة ما نظم فيه من القصائد يدور حول ذكر لونين من الحقائق، حقائق الأصباغ البديعية، وحقائق السيرة النبوية، ولا ننكر أن النزعة الدينية لها صلة بوجود هذا الفن""[1].

يتضح من خلال هذا القول أن البديعيات تتمحور حول عنصرين مهمين: الألوان البديعية، ومدح الرسول – صلى الله عليه وسلم –، بذكر سيرته العطرة، إنها

[1]– محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه الأدبي والعلمي، م8، مكتبة الآداب، القاهرة (مصر)، ط1/1965، ص177.

مزاوجة فذة قلما نجدها على امتداد العصور، وفي هذا الصدد يقول " محمد زغلول سلام":" وسار كثير من شعراء العصر على أثر البردة، فاحتذاها وعارضها جماعة من الشعراء، وتناول معانيها وأسلوبها جملة ممن اهتموا بالمديح من بعده، كالخيمي وصفي الدين الحلي وابن جابر الأندلسي الضرير وابن حجة الحموي، ولكن صفي الدين الحلي ومن تبعه نهجوا نهجا جديدا في مدائحهم، إذ طرزوها بالبديع وأسموها البديعيات، ضمنوا كل بيت فيها نوعا من البديع، فجعلوها مديحا ومتنا في علم البديع""[1].

وفي ظل تضارب الآراء واختلاف الرؤى لا نجد فيئا إلا عند " علي أبوزيد " الذي اهتم بموضوع البديعيات، وأسهب فيه أيما اسهاب، وحددها من منطلقين "تعريف عام وخاص"، محاولا بذلك المواءمة بين كل القصائد التي كتبت وجعلها في دائرته.

أما الأول التعريف العام: قصيدة طويلة في مدح نبي – ونادرا غيره – يتضمن كل بيت من أبياتها نوعا من أنواع البديع، يكون هذا البيت شاهدا عليه، وربما وري باسم النوع البديعي في البيت نفسه في بعض القصائد[2]، وعلى هذا يمكن إدراج كل البديعيات ضمن هذا التعريف.

أما الأخر أي"" التعريف الخاص : قصيدة طويلة في مدح النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، على بحر البسيط، وروي الميم المكسورة، يتضمن كل بيت من أبياتها نوعا من أنواع البديع، يكون هذا البيت شاهدا عليه وربما وري باسم النوع البديعي في البيت نفسه، في بعض القصائد ""[3]، فعلا إن التعريف الخاص سيجلي

[1]– محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، منشأة المعارف، الإسكندرية(مصر)،(د.ط)، (ب.ت)، ص 328.

[2]– علي أبوزيد، البديعيات في الأدب العربي، (نشأتها، تطورها، أثرها)، عالم الكتب، بيروت(لبنان)، ط1/1983، ص46.

[3]– المرجع نفسه، ص 46.

الغموض، ويجيب عن كثير من التساؤلات حول ماهية هذا الفن، فالبديعية يجب أن تكون كذلك، إنه فن جديد يعبر عن تأزم روحي في سياق حضاري حافل بالتناقضات، رغم ذلك لم يحدد له تعريف واحد، فإن اعتبرنا أن البديعية نظم شعري غرضه المدح من بحر معين وروي معين، تحمل في طياتها ألوانا بديعية دونما تحديد، فأين الزئبقية في هذا الفن؟.

فتنة البديعية لا تقاوم ولو كانت نهايتها الموت البطيء أو الضياع في غياهبها، لكنها تعد مكسبا للشعر، وأي مكسب، إنها أثرت فيه وخلخلت لغته ورؤاه، فكانت إشراقات متفجرة في عالم الأدب.

فيا ترى لم لجأ الشعراء إلى الزخرف البديعي، ما العوامل التي جعلتهم يلجأون إلى هذا الزخم البديعي؟ ما الظروف التي أخرجت هذا الفن– البديع –؟

2- نشأة البديعيات:

لقد ساهمت عوامل شتى في ظهور هذا الفن وحوافز ومسببات يقول في ذلك " علي أبوزيد":"" ما من شك في أن البديعيات لم تكن طفرة بنت ساعتها، بل كانت وراءها مسببات، وظهرت لها أعمال تفاعلت وتكاملت حتى أخرجتها إلى النور لتكتمل بعد ذلك خلقا سويا""[1].

يمكن القول أن البديعيات فن متميز في مجال الشعر، من حيث الشكل والمضمون، إنها إضافة لرصيد المغرب الشعري، فهي نموذج شعري متجذر في التراث، أسهمت في ظهوره عوامل متشعبة، متعلقة بالعصر ومتغيراته، فحتما الظروف

[1]– المرجع السابق نفسه، ص 31.

الاجتماعية والسياسية، وكذا الحضارية كان لها دورها الفعال والرئيس في ظهور هذا الفن، إذ العلاقة وطيدة بينهما، فالأحداث والمتغيرات زرعت في النفوس الخيبة والحزن واليأس، ما جعلهم يعودون إلى الماضي عن طريق البديعيات، من خلال مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والوقوف أمام قبره وزيارة ذي سلم وكل الأماكن المقدسة، حيث إن:" جميع أبيات البديعية تصب في غرض واحد وهو مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – وآله وصحبه، والتشوق إلى زيارة مقامه الكريم، والتشبث بأذياله الطاهرة، ليكون شفيعا لنا جميعا يوم لا ينفع مال ولا بنون، وذكر سيرته المعطرة الحافلة بالمواقف الخالدة"[1].

هو نوع من الهروب إلى عالم آخر متخيل، يعيش في رحابه، لينسى واقعه الأليم وأحزانه "" على أن الأوضاع السياسية القائمة حينذاك كانت تدعو إلى اصطناع هذه الأساليب البديعية، لما تتطلبه هذه الأوضاع من احتيال في مخاطبة الحكام، والتواء ضروري في مخاطبتهم، خوف غضبهم وبطشهم، فالمصانعة كانت ضرورية، وهي في أسلوب المتكلم أحق بالرعاية آنذاك""[2].

كانت هذه الظروف والأوضاع السياسية الحافز الأول نحو العودة إلى الأصل، إلى ينبوع الرحمة، ودافعا كبيرا لمثل هذا النزوع البديعي، فالألم والمعاناة والتسلط تجعل كوامن الشعر تخبو وراء أصباغ وألوان بديعية، لغياب السند المعنوي وانتشار الظلم والفساد، فهو يعبر عن تأزم روحي، واختلالات في مناحي الحياة حيث الحزن والأسى

[1]– لخضر عيكوس، جماليات البديعيات وخصائصها الفنية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة السادسة العددان الثاني والعشرون والثالث والعشرون، 1989، ص 80.

[2]– محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه الأدبي والعلمي، ص149.

ينأى بالإنسان إلى الماضي الحاضر، الغائب، إذ يعبر عن لا وعي جمعي، وترجمة للذات، الأنا الأخر، من خلال هاته اللغة الشعرية المنمقة.

ثم إن الأمر لا يقتصر على أحداث العصر وتأثيراته، بل على سمة العصر، حيث كان عصرا لنظم شتى العلوم،"" اتجه كثير من الشعراء إلى نظم هذه المعارف والأفكار العلمية وإخراجها في قصائد تطول أو تقصر، وتزويدها لما ينبغي للأساليب العلمية أن تزود به، فنظموا في الفقه والمواريث والأحكام المختلفة، وفي النحو والبلاغة والعروض والتاريخ وغير ذلك""[1].

يبقى الارتباط وثيقا بين فن البديعيات وطبيعة العصر الذي نشأت فيه، ذلك أن الأوضاع السياسية والاجتماعية والحضارية السائدة آنذاك كان لها دور فعال في نشأة هذا الفن ورقيه وتنوعه، بزخم معرفي وشكل متميز ومضمون سام ذي دلالة عميقة، إذ ""كانت حضارة ملونة مزدانة تجنح نحو حب الظهور والمبالغة والتهويل والالتواء والزخرف""[2].

ظهر الكثير من الشعراء يدعون إلى التقوى والصلاح والزهد في الدنيا، كابن تيمية، والبوصيري الذي يعد إمام هذا النوع، وترسم بردته الكثير، وعارضوه حيث تعد قصيدة البردة أهم القصائد تبين المدائح النبوية، فهي أولا قصيدة جيدة، وهي ثانيا أسير قصيدة في هذا الباب، وهي ثالثا مصدر الوحي الكثير من القصائد التي أنشئت بعد البوصيري في مدح – الرسول صلى الله عليه وسلم –[3].

---

[1]– المرجع نفسه، ص 147.

[2]– المرجع نفسه، ص 149.

[3]– زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة المصرية (صيدا، بيروت)، (د.ط)، (د.ط)، ص 171.

إن بردة البوصيري كان لها أثرها العميق في الجماهير عامة، حيث كانوا يحفظونها ويعظمونها، كما أن الشعراء قاموا بمعارضتها، بتضمينها، وتشطيرها، وتخميسها ...، كما نتج عنها ظهور فن البديعيات، " فقد افتتن ابن جابر بقصيدة البردة وظهر أثرها في شعره .... وشغل نفسه بمعارضته البردة، ولكن أي معارضة؟ لقد ابتكر فنا جديدا هو البديعيات.." [1]، والأمر لم يتوقف عند ابن جابر، بل قوبلت بديعيته بالإعجاب والشرح والمعارضة، وهكذا بقيت الحلقة مستمرة، ونجم عنها قصائد وبديعيات بديعة، وشروح كثيرة، فتغدو شجرة وارفة الظلال، تتفرع أغصانها وتعلو فروعها، من ثم تعود بالثمار على الأدب والشعر خاصة، وتثري المكتبة العربية.

فعلا المعارضة فتحت الباب واسعا لمثل هذا الزخم المعرفي، إذ كانت من أهم العوامل ولا نعدم عوامل أخرى. متضافرة معها، حيث:" أثار الشعراء فيما بينهم ثائرة المنافسات الأدبية، فكانت حافزا آخر من حوافز شاعريتهم، ودافعا من دوافع إقبالهم على نظم الشعر ومزاولة الفن"[2].

كان الشعراء يتبارون فيما بينهم، إذ تربط بينهم روابط مودة وصداقة، فيعبرون عن مشاعرهم وعواطفهم بواسطة الشعر، إذ احتدمت المنافسة بينهم، و"" كان ولوعهم بالبديع وصناعته تكأة كبيرة، أذكت بينهم عوامل المنافسة الأدبية ومحاولة الإجادة، وكان الحال أنه ما من خاطر من خواطرهم يقع على معنى أو فكرة أو تشبيه أو كلمة

[1]– المرجع السابق نفسه، ص 205.

[2]– محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، ق8، ...من م4، مكتبة الآداب، القاهرة (مصر)، ط1/1965، ص 264.

تصلح أن تسبك في قالب من قوالبه، حتى يتسابق بل حتى يتواثب إليها كثير من الشعراء، ويتلقفونها في لهفة وعجلة، وينظمونه في أبيات أو مقطوعة"[1].

هذا النهم الشعري وحب النظم، كان من العوامل التي جعلت كثيرا من الفنون تظهر، وانسحب ذلك على فن البديعيات، خاصة وإن حبهم للبديع والزخرفة اللفظية كان كبيرا إلى درجة الشغف.

فالبديعيات فن رائق وشائق، أخرجته ظروف وعوامل مختلفة، بشكل متميز، كما أنه تجسيد وترجمة لعصر متفرد بمناحيه، "فالأدب فن ولذلك له علاقة خاصة بالحياة من حوله، إنه ينظم الحياة ويعطيها المعنى، كم أنه يعبر عنها حسب " إملي ديكنسون Emily Dickinson " العطر يأتي من الورد، أو قيمة العطر بالنسبة للورد the attartron the rose لذلك إذا كان باستطاعتنا فقط أن نأول قصيدة على نحو صحيح سنكون في موقف أفضل يسمح لنا بفهم العالم"[2].

والأمر ذاته بالنسبة للبديعيات فعلاقتها بالمجتمع والبيئة والعصر، تحتاج إلى من يستخلص العطر من ورودها المختلفة الألوان ويكشف عن اللآلئ المكنونة في صدفاتها.

لذلك تبقى محط جدل ونقاش، فهي تستجدي كل دارس، ليخرجها من غياهب الجب – جب العصر المملوكي – وينفض عنها غبار السنين والطمس والتعتيم، ما

[1]– المرجع نفسه، ص 265.

[2]– سامي إسماعيل، جماليات التلقي (دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت ياوس وفولفجانج ايزر)،القاهرة(مصر)، ط1/2002.

يجعلنا نتساءل عن سر التميز فيها، هل المضمون أم الشكل؟ أم كلاهما؟ أم جمال ألوانها وبريقها الفاتن.

3- مضمون البديعيات:

نسج أصحاب البديعيات قصائدهم في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، تيمنا وتبركا بسيرته العطرة – صلى الله عليه وسلم – لنيل الشفاعة يوم لا ينفع مال ولا بنون، فجاءت مدائحهم النبوية مختلفة، نظرا للقلاقل والاضطرابات التي عاشوها وخاصة الاحباط واليأس، كانوا بحاجة ماسة للعودة للأصل "" فلا حياة لقلب المؤمن إلا بمحبة الله تعالى ومحبة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، ومن استشعر هذه المحبة قرت عينه بحبيبه، وسكنت نفسه إليه، وأطمأن قلبه به، وأستأنس بقربه وتنعم بمحبته""[1].

يمكن القول أن مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان الجسر الذي ربطوا به الأواصر للنجاة من براثين الدنيا،" فالبديعيات من حيث الموضوع لا تخرج عن كونها قصائد في المديح ولكنه مديح خاص، يتوسل به صاحبه لنيل هبات الممدوح وعطاياه، لكن ليس من جوائز غنية تمتلئ بها خزائن الملوك والخلفاء والأمراء في قصورهم الفاخرة، التي يتمسح المادح ببلاطها.. ولكنه مديح يرجو صاحبه، يتوسل ويشكو ويبكي، لنيل شفاعة تخلصه يوم القيامة من سعير جهنم، وهذا مطلب عزيز

[1]– محمد أحمد درنيقة، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، مديرية وضبط أسفاره، ياسين الأيوبي، دار مكتبة الهلال، بيروت (لبنان)، ص 21.

وغاية بعيدة لا يصل إليها مؤمن تقي أحسن صنعا في حياته الدنيا، ولم يفرط في جنب الله ..."[1].

إذا الغاية سامية من وراء المدح، حيث يتآلف هذا الأخير مع التأليف البلاغي، والقارئ لها ينبهر بأنواع البديع الواردة فيها حتى إنه " يتوهم الباحث معها أنها منظومات في فنون البديع، وهي في الواقع ليست كذلك، بل إنها توظف البديع لخدمة غرضها الأسمى، وهو تجديد الصلة بشفيع الأنام وآله وصحابته الكرام، الذين سكنوا البقيع وأناخوا بسلم وذي سلم، وهي الأماكن المقدسة التي طالما تغنى بها البديعيون وتلذذوا بذكرها على ألسنتهم"[2].

أنار لنا الدكتور "لخضر عيكوس" الدرب فيما يتعلق بموضوع البديعيات، ووحدد الكثير من الخطوط العريضة التي نعتمد عليها في سبر أغوار البديعيات، وخاصة أن هذا الموضوع لم يلق حظه من الدراسة على امتداد المساحة العربية– مشرقا ومغربا – رغم قيمته المعرفية والبلاغية الوجدانية والاسلامية والمرتبطة بتراثنا العربي.

فالبدايات الأولى للبديعيات لا تختلف عن مطالع القصائد القديمة، إذ ساروا على نهجهم مع إضفاء الألق والجدة في المضمون والشكل، حيث "تشتمل البديعيات على ثلاث فقرات أساسية تشكل مجتمعة غرض البديعية الرئيس، الذي هو مدح النبي – صلى الله عليه وسلم –"[3].

[1]– لخضر عيكوس، جماليات البديعيات وخصائصها الفنية، ص 78.

[2]– المرجع نفسه، ص 26.

[3]– المرجع السابق نفسه، ص 85.

البديعيات لم تخرج في نظامها عن القصيدة العربية القديمة،، لكن النسيب فيها مختلف، فهو لأنبل الخلق وأعظمهم، للشفيع يوم القيامة، فنجد "" الفقرة الأولى منها تتمحور في العادة حول ذكر الأماكن المقدسة والديار العامرة بأطياف الأحياء الطاعنين الذين سافروا، وتركوا الشاعر أشلاء مبعثرة، ولم يعيروه بالا، ولا جففوا له عبرة سالت على خديه كالأنهار ..."[1].

الديار تختلف، والأحباء لهم خصوصيتهم، مما يجعلنا نتساءل، عن هذه المقدمة الطللية وكيف وظف مضمونها في البديعية؟ مضمون رائق يعيدنا إلى عصور الجمال والطبيعة والأنفة، والسليقة العربية، بصورة مغايرة، وبألق وجداني خالص، مقدمة زينت ونمقت بألوان شتى، تجمع بين جمال المحبوب وقداسة المكان، وعلم من أحق العلوم بالتعلم، علوم البلاغة. هي ثلاثية فذة، تثير التساؤلات: عن سبب البكاء؟ عن ماذا يتحسر الشاعر؟ وعن أي حبيب فقد؟.

أما الفقرة الثانية من فقرات البديعيات، "" تتمحور حول مديح الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وتصور تاريخ سيرته المعطرة المنطوية على عظيم المعجزات ونوادر الكرامات، فتعرض لمولده الشريف، وما سبقه من علامات كونية، وإلى صفاته الخلقية النبيلة، وجمال صورته الخلقية، مثلما أخبرت عنه كتب السيرة، ثم تذكر بنبوءته، وما كان يصدر عنه من آيات، تنم عن سمو رفعته، وتعكس ما يتمتع به من هيبة وجلال، وعظيم الحجة والبرهان، ثم تتحدث عن حروبه مع الكفار والمشركين، وتمجد

[1]– المرجع نفسه، ص 85.

انتصاراته، وتعرج على آله وصحبه، فتذكر شمائلهم، وفضائلهم، وكل ذلك بأسلوب من الصنعة البديعية الجذابة ""[1].

حديث عن كل ما يتعلق بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وصفاته ومعجزاته وغزواته، وأصحابه، شيء يثير الفكر والعقل معا، خاصة وأن كل ذلك أخرج في شكل بلاغي، معطر برياحين الألوان البديعية، ممزوجا بعاطفة آسى وندم، حيث يبقى الحب الرابط لكل ما له علاقة برسول الله صلى الله عليه وسلم، كسبيل للنجاة، وذلك في الفقرة الثالثة"" فعادة ما يكون دعاء يرفعه الشاعر في نهاية قصيدته إلى بارئه، راجيا منه الصفح والغفران، ويضمنه صلاة دائمة على الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي تؤمل شفاعته يوم لا ينفع ما ولابنون، يعبر الشاعر في هذه الفقرة عن مدى تمكن حب النبي في قلبه، معربا عن ولائه له، والتزام شرعته التي هي رجاء الشاعر ومنتهى طلبه""[2].

إنها الغاية التي يود كل شاعر الوصول إليها فلا سبيل للنجاة إلا بهذا الجسر البديعي المدحي، الموصول في عاطفته مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو"" يمتاز عن سائر المخلوقات، أنه سيد ولد آدم، وأنه خاتم رسل الله، وأنه الشفيع والمشفع، وأنه الممدوح .....، وأنه الأسوة الحسنة والمثل الأعلى لكل إنسان""[3].

الحديث لا ينتهي عن هذه القصائد، بما تحويه، لكن ما المضمون الذي حملته؟ وما علاقته بالزخرفة البديعية التي اتسمت بها؟

---

[1]– المرجع السابق نفسه، ص 85.

[2]– المرجع نفسه، ص 86.

[3]– بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البديع، دار العلم للملايين، بيروت(لبنان)، ط1/1987، ص 551.

وتحاول الدراسة إعطاء صورة عنه من خلال بديعية " ابن الخلوف ".

4- مضمون بديعية "ابن الخلوف":

يجسد لنا "ابن الخلوف" من خلال بديعيته "مواهب البديع في علم البديع"، ذلك الصوت المغربي الذي يعلو رغم نظرة القصور السائدة لأدبنا المغربي –خاصة الشعر–، فالشعر المغربي ينظر إليه على أنه نسخة عن نظيره المشرقي، لهذا اخترنا شخصية الشاعر "ابن الخلوف"، الذي يعد من الشخصيات الفذة في شعره ونثره، فهو يمثل الصوت المغربي، القسنطيني الأصل، التونسي الدار، "وأحمد بن محمد بن عبد الرحمن، الشهاب، أبو العباس، بن أبي القاسم الحميري الفاسي الأصل، القسنطيني المولد، التونسي الدار، المغربي المالكي، ويعرف بالخلوف، وهو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي القاسم محمد بن عبد الرحمن بن الخلوف الحميري""[1].

والبديعية كانت عبارة عن مخطوط، وبعد جهد الأستاذ الدكتور" العربي دحو" تم تحقيق البديعية من قبل الأستاذة " حورية رواق "، فبفضها تسنى لنا الحصول عليها كاملة، بما تحمله من زخم معرفي وبديعي، فهي تراث شعري يجسد حقبة زمنية معينة، بأحداثها ومضامينها.

فبعد أن أخرجت إلى النور، ونفض عنها الغبار، لا زالت حبيسة الأدراج، لم تنل حقها من الدراسة، شأنها شأن الكثير من البديعيات التي بقيت رهينة النسيان والطمس. لذا سنشير إلى مضمونها بشكل موجز لأن المجال لا يتسع لذلك، أملة أن تثار الهمم لدراسة هذا الموضوع الشائق ولإكمال النقص.

[1]– العربي دحو، ديوان جني الجنتين في مدح خير الفرقتين، تقديم وتحقيق وشرح الدكتور العربي دحو، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط2004/1، ص 09.

أ/ المقدمة الطللية:

البديعية تبتدئ بمقدمة طللية، نحس من خلالها نارا متقدة، وشوقا لافحا، حبا وذكريات، حنينا لأيام خوال، فالطلل رمز لزمن ولى، لحياة يفتقدها الشاعر، إذ هو حلقة وصل بين الماضي والحاضر، لهذا نجد أن أغلب الشعراء يحافظون على هذا التقليد، كذلك " ابن الخلوف " يستهل بديعيته بأبيات رائعة تثير الوجدان:

أمِنْ هَوَى مَنْ ثَوَى بِالبَان والعَلَمِ هَلَّتْ بَرَاعَةُ مُزْنِ الدَّمْعِ كَالعَنَمِ

أَمْ مِنْ فُرُوقِ بُرُوقِ الحَيِّ إِذَا لَمَعَتْ تمتْ مُمَاثَلَةُ الأَحْشَاءِ لِلضَّـــرَمِ

فَاسْتَوْفِ مَدَّ نَوَالٍ مَدَّ نَائِلُـــهُ مِنْ مَنْ وَادِعُهُ يَا جَامِعَ الكَلِـــمِ

وصِلْ بِبَدْرِ تَمَامٍ مِنْ مَحَاسِنِهِـمْ مَضَاهُ لِلَيْلِ تَمَام مِنْ شُعُورِهِـــمِ

وحَيَّ سَلْعًا، وسَلْ عَنْ حَالِ مُخْتَلِفٍ واخْضَعْ وسَلْ مَا لِسَلْمَى رَكِبَتْ سقمي[1].

مطلع غزلي رائع، يعبر فيه الشاعر عن معاناته وألمه، جامعا فيه بين موهبته والموقف حيث نجده يمزج بين المكان والمحبوب، الألم والسعادة، براعة الاستهلال والوقفة الطللية، هذه الثنائيات التي جمعها الشاعر لا نجد لها نظيرا في الشعر العربي، فاللون البديعي يتضح من خلال الصياغة، مدلا بذلك على المعنى، لقد وفق " ابن الخلوف " في المواءمة بين اللون البديعي والمعنى معبرا عن مقدرة كبيرة

تتوالى الأبيات حيث نجد العبارات التاليات:" أمن هوى من ثوى ... "، " هلت براعة مزن الدمع"، " فروق برق الحي ..."، " مماثلة الأحشاء للضرم"، " وحي سلعا .."، كلها توحي بدلالات عميقة، تثير الذهن، فالجناس بأنواعه –ابتداء من البيت الأول– له

[1]– حورية رواق، بديعية مواهب البديع في علم البديع، رسالة ماجستير، قسنطينة (الجزائر)، 2002،2003، ص5.

وقعه الخاص، حتى إن هذه المعاني العذبة السلسة تنعش الذاكرة، "" فالتعبير في مضمون حقبة تاريخية معينة سوف ينتج حتما تعبيرا متناظرا له في الشكل ""[1]، فالكشف عن مضامين هذه البديعيات أمر مهم جدا، فمن خلالها نسلط الضوء على حقبة تاريخية متعلقة بتراثنا العريق.

الشاعر يوظف ألوانا بديعية مختلفة، موائما إياها مع غزل رائع، تتجاذبه مشاعر متصارعة ومتناقضة، أمل، ألم، حسرة، يقول:

وعِشْ بِتَعْلِيقِ مَعْرُوفِ الوِصَالِ، ولَا تَقُلْ هَانَ دَمْعِي يَا قَوْمٌ فَيَا نَدَمِي

وشَابِهِ السُّقْمَ بِالمَفْرُوقِ مِنْ جَلَدٍ فَقَدْ حَدَا بِهِمْ حَادِي رِكَابِهِمِ

وبِالمُشَابِهِ لَفِقْ قَدْرَ مَا قَطَعُوا بِنَاظِرٍ قَدْ رَمَى، أَفْلَاذَ حُبِّهِمِ

وإِنْ رَجَوْتَ فَدَعْ تَفْرِيقَ دَاهَرَ مَا أَبْدُوا وسَلْ عَنْ دَمِ القَتْلَى بِحُبِّهِمِ[2]

هكذا يتجلى التوظيف الجديد للغزل، بإضفاء صبغة بديعية عليه، مجسدة في شكل صور منمقة، توحي بدلالات عميقة، حيث يمزج من البداية بين " الدمع والعنم " و" براعة الاستهلال "، وهي من أروع المطالع، حيث تتجلى خصوصية البديعية، من خلال الألوان التي ينسجها نسجا، إذ تتوالى في شكل رائق، حيث نجد التلفيق، التفريق، نفي الشيء بإيجابه، كلها تتضح وتنساب انسيابا في شعره، فالحب في هذه البديعية مختلف، إنه انتماء، اتحاد، وارتواء، وهذا ما يدل عليه النوع البديعي التفريق، فالحب واحد، لكن حب الرسول – صلى الله عليه وسلم – يربوفوق كل شيء.

[1]– سمير أبوحمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية، بيروت(لبنان)، ط1/1991، ص 91.

[2]– حورية رواق، بديعية مواهب البديع في علم البديع، ص05.

ويستمر هذا المد الروحي، فبعد الوقفة الطللية يزداد الانفعال، ويتعمق الأسى، فالمحبوب غائب، وكل الأحلام والآمال ولت معه، يقول" ابن الخلوف":

وكَمْ بِخَيْرِ وجَيْرِ صَفَّحُوا كَلِمِي وحَرَّفُوا بِوُقُوعِ الحِلْمِ فِي الحُلْمِ

وكَمْ بِسُخْطٍ وشَحْطٍ صَرَّفُوا نَظَرًا يَا مَا مَلَا القَلْبَ لَما مَالَ بِالأَلَمِ

ولَو بِتَطريفِ عَهْدٍ قدْ مَضَى ارْتَجَعُوا لَذَيَّلُونِي بفرْطِ عَاطِرِ الشّيَمِ

لكنّهمْ مَرَّرُوا نَدْوى الفؤاد بمَا قد جرَّدُوا الشَّوقَ من بلْبَالِ عَهْدِهِمِ[1]

إن الابداع يتضح تدريجيا مع كل بيت ولون بديعي، حتى إن القارئ يشعر بنوع من الغموض والسحر الذي يجذبه لفهم اللون الوارد بين تورية وذكر له، يبقى المعنى متناغما ومتوائما مع الغرض، والجانب المعرفي العلمي المتعلق بعلم البديع، فعندما نقرأ الأبيات– الفقرة الأولى– نجدها تجمع ألوانا شتى، تتناسب وغرض الشاعر، حيث تستمر معاناته، ألمه وفقده، ونحس بنار متقدة لافحة، عاطفة متأججة، تسموبنا إلى أعلى مراتب الحب، فالحب عظيم، والمحبوب خالد – رسول الله صلى الله عليه وسلم – وكل ما يمثله من أحداث وأمجاد وانتصارات، في ذلك يقول :

واخْبِرْ مُشَوَّشَ عَقْلٍ ضَلَّ أَنْ يَسِمُوا عَنْ أَشْنَبٍ شَرْقٍ أَوَأَلْعَسَ شَبِمِ

وكَمْ أَمَامَ حُنَيْنٍ أَطْلَقُوا وسَبَوْا يَا مَعْنَويًا تُجَاهَ القُدْسِ فِي الحَرَمِ[2]

[1]– المرجع نفسه، ص06.

[2]– المرجع السابق نفسه، ص07.

ما يضمره الشاعر، ندركه من معرفة اللون البديعي الذي وظفه، فالمماثلة، المعنوي، تحيلنا إلى عدول والتفاتات الشاعر إلى ما وراء الموضوع، إذ يصل إلى الحب الإلهي، فهو نوع من الحلول، والهروب بحثا عن عالم آخر ينسى فيه ألمه.

اَعِنْدَهُمْ وعُيُونُ اللهِ تَحْرُسُهُمْ مِنْ اِعْتِرَاضِ حَسُودٍ لَمْ يَقُلْ بِهِمِ

هُمُ، هُمُ العَيْنُ حُلوُهَا ومَا سَفَرَتْ إلاَّ لِتَصْرِفَ فِي اِسْتِخْدَامِ عَبْدِهِمِ

أَبورُ أنَّ مَنَامِي طَائِرٌ أَبَدًا حَتَى يَقُصَ بِمَا عَانَيتُ فِي الحُلُمِ

وفَجَرُوا إِذْ بَرَوْا جَسَدِي عَمْدًا، وَقَالُوا: لَقَدْ صَحَيتَ بِالسَّقَمِ[1]

لوحة منمقة، فسيفساء جميلة، تناغم وامتداد بظلال رائعة، وبريق خاص، إذ يستمد منه طاقته الروحانية في رحلته النورانية، فهو يهفو إلى عالم تكون فيه العناية الإلهية، ويتضح ذلك من خلال المجاز، التكرار، الإلغاز، فهو يعمد إلى هذه الألوان ليصل إلى مبتغاه، إذ نجد الشاعر في الفقرة الأولى يوظف ألوان معينة تتناسب والغزل، ولقد وفق في ذلك أيما توفيق، ولينتقل إلى غرضه الرئيسي وهو المدح يقول في ذلك:

فَشَتْ بِنَسِيبٍ مِنْهُ خَلُصَتْ بِمَدْحِ أَحْمَدَ خَيْرِ العُرْبِ والعَجَمِ[2]

وبحسن التخلص، نصل إلى المفتاح الثاني – الفقرة الثانية – من مفاتيح البديعية.

ب/ المدح :

إنها الفقرة الثانية أو المفتاح الثاني، الذي يمكن الولوج من خلاله إلى كوامن البديعية،

[1]– المرجع نفسه، ص07.

[2]– المرجع نفسه، ص12.

إذ تشتمل على مضامين متباينة ومتقاربة ومتواشجة، فهي متعلقة بسيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم–، بميلاده وصفاته، معجزاته وغزواته، إن ذكرى الرسول – صلى الله عليه وسلم– باقية الى الأبد، فهو طوق النجاة، الرجاء والأمل، إنه أجل وأعظم من تكتب فيه القصائد، فتتفتق القريحة، وتنسج الأنامل خيوطا ذهبية، في حدائق غناء، يقول :

بُشْرَى الذَّبِيحِ بنُ فَيَّاضِ ابنِ هَاشِمِ ابنِ المُغِيرَةِ فَاَعْجَبْ بِاطِّرَادِهِمِ

لَمْ يُعْزَزَ يَدٌ لَهُ التَّلِيقُ فَاصْغِ وقُلْ مَا كَانَ طَهَ أَبَا ابْنٍ مِنْ رِجالِهِمِ

كَنْزُ ادِّخَارِي عَلَاهُ شَمْسُ مُرْتقبي غَوْثُ اضْطِرَارِي، صَبَاحِي فِي دُجَى ظُلُمِ[1]

ما ينبغي ملاحظته أن الشاعر ابتدأ بذكر نسب الرسول – صلى الله عليه وسلم– في شكل عفوي رائق، حيث يتضح اللون البديعي – الإطراد – في صورة جميلة ومنمقة، فالمزج بين المضمون المعرفي والشعري، أضاف صبغة جمالية متفردة، حيث تتوالى الألوان البديعية مشكلة بناء لغويا جميلا، إذ إن علم البديع لا يقتصر على التزيين والتنميق – كما يتراءى للكثير– إذ "" البديع لا يأتي في الشعر من أجل التحسين الذي يضاف إلى الكلام بعد ما تتم عناصر جودته، وإنما يجيء تكوينيا في النص الشعري ليساهم مساهمة فعالة في بناء جماليته، وإحكام شعريته، حتى لا يصبح إهماله ضربا من الإخلال بطبيعة إظهار الأشياء، ونوعا من العقوق الفني المعيب""[2].

[1]– المرجع السابق نفسه، ص13.

[2]– سعيد العوادي، حركية البديع في الخطاب الشعري، كنوز المعرفة، ط1، 2014، ص 31 .

فالشاعر " ابن الخلوف " لم يكن يجمع الألوان البديعية، بل وظفها في منظومة محكمة النسيج، متناغمة المعاني، وهذا ما نجده في الفقرة الثانية، حيث يذكر الألوان بصورة مكثفة، ويوري عنها في أحايين كثيرة، مجسدا بذلك سمو الممدوح وعاطفته تجاهه:

كرِّر حَلاوَةَ مَدْحِ الأَشْرَفِ العَلَمِ ابْنِ الأَشْرَفِ، الأَشْرَافِ العَلَمِ

واقْصِرْ عَلَيهِ السَّنَا حَتْمًا، ومُدَّ بِهِ عَالِي السَّنَاءِ وهِمْ فِي مَدِّ قَصْرِهِمِ

مَا الشَّمْسُ إِنْ رَمَتْ تَشْبِيهًا بِوَاضِحَةٍ إِلَّا كَكَافُورَةٍ فِي جَوْهَرٍ نَظم[1]

الممدوح مختلف، والمحتوى فريد بهذه الألوان التي تتوالى معبرة عنه، رغم ذلك يجد الشاعر نفسه عاجزا أمام هذا المحبوب، فمهما لون شعره لن يصل إلى الصورة التي يودها، إذ يبقى الممدوح محاطا بهالة من القداسة والجلال، يقول :

قَدْ أَعْجَزَ المُتَحَدِّي قَوْلُهُ أَوفَمَنْ يَأْتِي بِمَا قَدْ أَتَانَا أَفْصَحُ الأُمَمِ

كَلَامُهُ جَامِعٌ إِنْ تُصْغِ تَلْقَ هُدَى مَنْ لَمْ يَصْحُ لَمْ يَجِدْ عَنْ فِتْنَةِ الصَّمَمِ

بِاللهِ أَوْجِزْ وسَلْ عَنْهُ تَجِدْ مَدْحًا فِي صُورَةِ النَّجْمِ أَوفِي نُونِ القَلَمِ[2]

فبين " إعجاز " و" كلام جامع "، نجد " إيجازا "، ألوان تتواءم وتتضافر لإيصال المعنى للمتلقي، وللدلالة على تفرد الممدوح : " فالإيجاز أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارة المتعارف "[3]، فمن خلال سورة النجم والقلم نجد ما يتعلق بمديح الرسول –

[1]– حورية رواق، بديعية مواهب البديع في علم البديع، ص13.

[2]– المرجع السابق نفسه، ص 14.

[3]– صفي الدين الحلي، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ج1، ص 178.

صلى الله عليه وسلم –، فكأن الكلمة اختصرت كل المراد، وهكذا مع باقي الألوان، فالكلام الجامع هو" أن يأتي الشاعر ببيت مشتمل على حكمة أو وعظ أو غير ذللك من الحقائق التي تجري مجرى الأمثال، ويتمثل الناظم بحكمها أو وعظها أو بحالة تقتضي إجراء المثل"[1].

ما يمكن قوله أن "ابن الخلوف" لا يعمد إلى رص الألوان في البديعية رصا، بل يختار ما يناسب غرض المديح، ويستمر الشاعر في مدحه ذاكرا معجزات الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأحداثا تاريخية اسلامية، ما يدل على ثقافته وموسوعيته:

عُنْوَانُ تَكْمِيلِهِ ضَبٌّ الفَلَاةِ غَدَا مُؤَيَّدًا بِانْشِقَاقِ البَدْرِ فِي الظُّلُمِ

لَمِّحْ بِمَا نَالَ فِي الإِسْرَاءِ مِنْ شَرَفٍ وقُلْ بِتَكْلِيمِ مُوسَى غَيْرَ مُحْتَشِمِ

وارْصُدْ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ نَجَـا مِنْ كَيْدِ نَمْرُودِ فِي البَرْدِ فِي الضَّرَمِ

واشْهَدْ بِتَمْكِينِ ذِي النُّونِ الكَرِيمِ وقَدْ نَجَّاهُ فِي اليَّمِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِـمِ[2]

تشكيل بديع، ينم عن مقدرة وبراعة فنية، إذ جمع أحداثا تاريخية، موائما فيها بين اللون البديعي والمضمون، مشيرا إلى معجزاته – صلى الله عليه وسلم –، فقد تفرد بمحاورة الكائنات، فبين اقتباس وعقد نجد ألقا وسموا وعاطفة لا تخبو، صور جميلة يتوقف عندها مطولا، وسيرة هي نبع الحياة، فقصة الرسول . صلى الله عليه وسلم . مع الضب، الذي جاء به أعرابي في مجلس الرسول – ص –، ولم يؤمن حتى تكلم

[1]– ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ص251.

[2]– حورية رواق، بديعية مواهب البديع في علم البديع، ص15.

الضب، وقال :"" أنت رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، لقد أفلح من صدقك، وقد خاب من كذبك، فآمن الاعرابي""[1].

البديعية ليست تأليفا بلاغيا فحسب، بل الأهم أنها تعود بنا إلى سيرة الرسول– صلى الله عليه وسلم – في شكل زخرفي فذ، يجعل المتلقي يقرأها ويستمتع بما ورد فيها، كما أننا نجده يتحدث عن معجزات الأنبياء الأخرين، كتكليم الله لموسى – عليه السلام –، وإبراهيم الذي نجاه من لظى النار، وذي النون الذي نجاه في اليم من أحشاء الحوت.

كل هذا والعاطفة تبقى متأججة، فالممدوح عظيم والغاية تربوفوق كل الغايات :

ورَتِّبْ المَدْحَ كَيْ تَحْظَى بنَائِلِـهِ حَيًّا، ومَيِّتًا، ومَحْشُورًا عَلَى قَـدَمِ

وإنْ تعُدَّ سَجَايَاهُ تَجِدْ شَرَفًـــا وعِزَّةً وجَلالا واعْتِلا هِمَـــمِ[2]

قمة التجسيد والانفعال، من خلال الإشادة بصفات الرسول – ص – في نوع بديعي يحمل كل المعاني، إذ تنساب الكلمات انسيابا، وتتلاحم تلاحما منبئه عن المضمون، فكأن البنية العامة تتراوح معلنة عن الموضوع في تسلسل وانسجام بديعي، تفوق كل الشعر الذي كتب قبل البديعيات وبعدها، فالنظم هنا له دلالته وبنيته الخاصة.

صور كثيرة متلاحمة ومعارف شتى وأحداث تاريخية، حرص الشاعر على إبرازها في لوحة فنية رائعة موائما بينها والألوان البديعية، ذاكرا أوموريا، مما ينم عن براعة ومقدرة لا نظيرة لها، متدرجا في معانيه ليصل الى غايته.

[1]– محمد متولي الشعراوي، معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، دار القلم، بيروت(لبنان)،(د.ط)،(ب.ت)، ص91.

[2]– حورية رواق، بديعية مواهب البديع في علم البديع، ص18.

ج/ الدعاء والتضرع :

إنه ليحسن الطلب " ببراعة الطلب " الذي يوضح المعنى توضيحا دقيقا، دون مواربة فالغاية سامية :

ومَا بَرَاعَةُ مَدْحِي أَنْتَ هُوطَلَبِـي مِنْ غَيْرِ نُطْقٍ يَعُمُ يَا خَيْرَ مِنْ كَرَمِ [1]

هذا المزج بين اللون البديعي والمعنى شيء نادر في الشعر العربي, إنها رغبة جامحة في نيل الشفاعة, حيث يتوسل الشاعر داعيا ومتضرعا :

يَا رَبُّ سَهِّلْ إِلَى الجِنَابِ مُنْقَلَبِـي ونَجِّنِي بامْتِدَاحِي مِنْ لَظَى الهَرَمِ [2]

المكان مقدس والغاية من المدح هو الوصول إليه، فالجناب اسم مكان معروف بنجد حيث مقام الحبيب الشفيع، أنبل وأعظم الخلق، تمتد المعاني في محاولة لنيل العفو:

واحْسِنْ رَيْحَانَ رَجَا ابْنِ الخَلُوفِ وَجُـدْ بِالعَفْو والجُودِ، يَا ذَا الصَّفْحِ والكَرَمِ

ولا تُعَسِّرْ مَالِي لِلرُّجُوعِ يَـدٌ يَا ذَا الجَلالِ، ويَا ذَا الإِكْرَامِ وَالحَـرَمِ[3]

وظف الشاعر الاقتباس بشكل جميل ومثير للذهن طالبا بذلك النجاة، نادما ومتحسرا على ما فات، فهذا المزج بين المدح والبديع في شعره كان ترجمة لحياة غائبة، لماضي يستحضره ويتأسى به في قالب رائع.

وجَازِي بِاحْتِرَامِي فِي مَدَائِحِـهِ مِنْ غَيْرِ أَمَدٍ، ووَاصِلْ وَافِرَ النِّعَمِ

واتْمِمْ مُسَاوَاةَ بِرَجِيعِي بَدَائِعَـهُ بِحُسْنِ منتثرٍ فِيهَا، وَمُنْتَظِـمِ[4]

---

[1]– المرجع السابق نفسه، ص27.

[2]– المرجع نفسه، ص 27.

[3]– المرجع نفسه، ص 27.

[4]– المرجع نفسه، ص 27.

لقد وفق "ابن الخلوف" وتفوق في عرض الطلب، إنه يدعو الله أن يخلصه من الجحيم ووالديه:

وِبابْتِدَاءِ المَدِيحِ خَلِّصْ أَهْلَ مِلَّتِـهِ وَوَالِدَيَّ، وهَبْ لِي حُسْنَ مُخْتَتَمِ![1]

تجلت الألوان البديعية من مطلعها، ببراعة الاستهلال، مضفيا بذلك ظلالا كثيرة بألوان متنوعة، معرجا بحسن التخلص إلى غرض المدح، انتهاء إلى حسن الختام.

[1]– المرجع نفسه، ص 27.

خاتمة : البديعيات فن جديد ذو ألق خاص، كان ظهوره مرتبطا بالعصر المملوكي، وبأحداثه التي زعزعت كيان الأمة العربية، فهو عصر ذهبي رغم ما قيل عنه – عصور الانحطاط – ففيه إنتاج أدبي ضخم، يحتاج إلى من ينفض الغبار عنه، شأنه شأن البديعيات، التي لا يزال أغلبها مغمورا، وفي زاوية ما من زوايا العصر.

بديعية "ابن الخلوف" "مواهب البديع في علم البديع" متميزة من حيث الشكل والمضمون، فالأول: صناعة بلاغية، تراوحت بين ألوان بديعية متنوعة، تصل إلى ما يقارب المائتي نوع، فهي مرتبطة أساسا بتأليف بلاغي، لكنه لم يقتصر على علم البديع، إذ نجد ما هو متعلق بالبيان: كالتشبيه والاستعارة والكناية ....، أما الآخر: فهو مضمون متعلق بمدح أنبل الخلق الرسول – صلى الله عليه وسلم –، إنه يمثل السمو والرفعة والرقي، بداية البديعية بمقدمة طللية، مع براعة استهلال تفي بالغرض المقصود، تليه ألوان متباينة : الالتفات، التجريد، التذييل، والجناس المذيل واللاحق والمحرف، إلى غير ذلك من أنواعه التي تتناسب مع ما يقتضيه النسيب من رقة وعذوبة، ليصل إلى حسن التخلص، من ثم إلى غرضه الرئيس – المدح –، موظفا أنواعا بديعية مختلفة تتناسب والمعاني من اطراد، وترديد واستتباع، إلى كلام جامع، حيث يستمر المد البديعي في ظل معان رائقة، فالألوان البديعية قوالب للمعاني تتناغم وتنسجم حتى تصل إلى الغاية، بحسن ختام.

نجد أن "ابن الخلوف" يذكر النوع البديعي في الأغلب، وأحيانا لا يصرح به، بل يجسده ببراعة فنية في البيت الشعري ليتواءم والفقرات الثلاث: المقدمة الطللية، المدح، الدعاء.

قائمة المصادر والمراجع:

1. العربي دحو، ديوان جني الجنتين في مدح خير الفرقتين، تقديم وتحقيق وشرح الدكتور العربي دحو، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1/2004.
2. بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البديع، دار العلم للملايين، بيروت(لبنان)، ط1/1987.
3. حورية رواق، بديعية مواهب البديع في علم البديع، رسالة ماجستير، قسنطينة (الجزائر)، 2003،2002.
4. خالد إبراهيم يوسف، الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان، دار النهضة العربية، بيروت (لبنان)، ط1/2003.
5. زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة المصرية (صيدا، بيروت)، (د، ط)، (ب، ت).
6. سامي إسماعيل، جماليات التلقي (دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت ياوس وفولفجانج ايزر)،القاهرة(مصر)، ط1/2002.
7. سعد سليمان حمودة، البلاغة العربية، دار المعارف (مصر)، (د، ط)، (ب، ت).
8. سعيد العوادي، حركية البديع في الخطاب الشعري، كنوز المعرفة، ط1، 2014 .
9. سمير أبوحمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية، بيروت(لبنان)، ط1/1991.
10. علي أبوزيد، البديعيات في الأدب العربي، (نشأتها، تطورها، أثرها)، عالم الكتب، بيروت(لبنان)، ط1/1983.
11. لخضر عيكوس، جماليات البديعيات وخصائصها الفنية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة السادسة العددان الثاني والعشرون والثالث والعشرون، 1989.
12. محمد أحمد درنيقة، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، قدم له وضبط أشعاره، ياسين الأيوبي، دار مكتبة الهلال، بيروت (لبنان).
13. محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، منشأة المعارف، الإسكندرية(مصر)،(د، ط)، (ب، ت).
14. محمد طه عمر، مفهوم الابداع في الفكر النقدي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة (مصر)، ط1، 2000.
15. محمد متولي الشعراوي، معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، دار القلم، بيروت(لبنان)،(د، ط)،(ب، ت).
16. محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، ق8، ...من م4، مكتبة الآداب، القاهرة (مصر)، ط1/1965.
17. محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه الأدبي والعلمي، م8،مكتبة الآداب، القاهرة (مصر)،ط1/1965.